كلمة: اعرف من تقابل

من كتاب

خِتَامُ السِّنِين

كَلِمَاتٌ قَصِيرَةٌ

لِلشَّيْخِ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي
رَحِمَهُ اللَّهُ

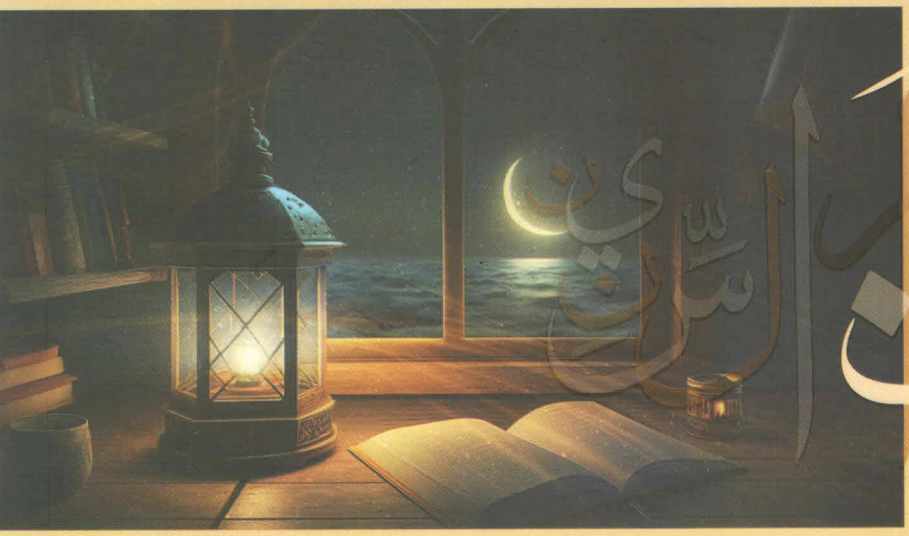

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ فَهْدٍ الْقَاضِي

دار الحضارة
الطبعة الأولى

قصةُ نبيِّ اللهِ سليمانَ عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاةِ والسلامِ (٦)

قال اللهُ تعالى في قصةِ الملِكةِ: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

قولُه: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾، قال في «الجلالينِ»[(١)]: «أي غَيِّرُوه إلى حالٍ تُنْكِرُه إذا رَأَتْهُ، قَصَدَ بذلك اختبارَ عقلِها».

في كثيرٍ من الأحيانِ يَحْسُنُ لمن أراد أن يُقَابِلَ أحدًا أن يكونَ عنده معرفةٌ عامةٌ به وبثقافتِه ومستوى ذكائِه ونحوِ ذلك؛ ليتعاملَ معه على حسبِ ذلك، وهذا من مهاراتِ التواصلِ.

ولعل من شواهدِ ذلك: قولَ النبيِّ ﷺ لمعاذٍ لما أراد أن يبعثَه إلى اليمنِ: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب**»[(٢)].

ولعل منه أيضًا: ما هاهنا من قولِ سليمانَ عليه السلام: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾، كما قال في «الجلالينِ»[(٣)]: «قصد بذلك اختبارَ عقلِها».

قولُه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢] قال الشوكانيُّ: «لم يَقُلْ: هذا عرشُكِ؛ لئلا يكونَ ذلك تلقينًا لها، فلا يتمُّ الاختبارُ لعقلِها»[(٤)].

قولُه: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] «قال عكرمةُ: كانت حكيمةً، قالتْ: إن قُلْتُ هو هو: خَشِيتُ أنْ أُكَذِّبَ، وإن قُلْتُ لا: خَشِيتُ أنْ أُكَذِّبَ، فقالتْ: كأنَّهُ هو»[(٥)].

وقولُه: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ

---

(١) ص (٤٩٩) باختصار.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).
(٣) ص (٤٩٩).
(٤) فتح القدير (٤/ ١٤١).
(٥) المرجع السابق.

مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَا۠ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

﴿ٱلصَّرْحَ﴾: قال أبو عبيدٍ: كلُّ بناءٍ عالٍ مرتفعٍ[١].

﴿مُّمَرَّدٌ﴾ الممردُ: قال الشوكانيُّ: «المحكوكُ المُمَلَّسُ»[٢].

من الحكمةِ في الدعوةِ تَلَمُّسُ أبلغِ الأسبابِ المؤثرةِ في المدعوِّ، ودعوتُه من خلالِها، ولعل من شواهدِ ذلك:

أولًا: ما جاء في «صحيحِ البخاريِّ» في قصةِ صلحِ الحديبيةِ لما صدتْ قريشٌ النبيَّ ﷺ ومن معه عن دخولِ مكةَ، وهذا أمرٌ ما جرتْ به العادةُ مطلقًا؛ أنَّ من جاء ليعتمرَ أنه يُصَدُّ؛ لكنْ أخذتهم الحميةُ حميةُ الجاهليةِ، فلما صُدَّ وبقيَ النبيُّ ﷺ، جاء رجلٌ من بني كنانةَ، سيدُ قبيلةٍ من قبائلِ العربِ، وقال لقريشٍ: دعوني آتِه - أي النبيَّ ﷺ -؛ ليُفاوضَ النبيَّ ﷺ، فقالوا - أي المشركونَ -: ائتِه، فلما أشرف على النبيِّ ﷺ وأصحابِه، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هذا فلانٌ، وهو من قومٍ يعظمونَ البُدْنَ، فابعثوها له**» فبُعِثَتْ له، واستقبلَه الناسُ يُلَبُّونَ، فلما رأى ذلك قال: سبحانَ اللهِ! ما ينبغي لهؤلاءِ أن يُصَدُّوا عن البيتِ، فرجعَ إلى قريشٍ مُخَطِّئًا لهم في صَدِّهِم النبيَّ ﷺ عن البيتِ، ولمْ يَصِلْ إلى رسولِ اللهِ ﷺ؛ إعظامًا لما رأى[٣].

ثانيًا: الذين يَحْتَفُونَ بصفاتِ السخاءِ والكرمِ، وهي عندهم من أهم معاييرِ تقويمِ الرجالِ، وكان عامةُ العربِ هكذا: عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «ما سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ على الإسلامِ شيئًا إلا أعطاهُ، قال: فجاءَهُ رجلٌ فأعطاه غنمًا

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

بين جبلينِ، فرجعَ إلى قومِه، فقال: يا قومِ أسلِموا، فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقةَ»[١].

كأنهُ أدركَ ورأى أنَّ الكرمَ والجودَ والسخاءَ يبقى لهُ سقفٌ مُعَيَّنٌ، أما عطاءُ النبيِّ ﷺ فقدْ تجاوزَ ذلكَ كلَّهُ، فعرفَ أنهُ نبيٌّ مرسلٌ منْ عندِ اللهِ تعالى.

قال أنسٌ رضي الله عنه: «وإن كان الرجلُ ليُسلمُ ما يريدُ إلا الدنيا، فما يلبثُ إلا يسيرًا حتى يكونَ الإسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها»[٢].

ثالثًا: استثارةُ الغيرةِ لدى الشخصِ في ترغيبِه في الخيرِ أو تنفيرِه من الشرِّ، كقصةِ ذلك الشابِّ الذي جاء يستأذنُ النبيَّ ﷺ في الزنى، فالنبيُّ ﷺ قال: «**أتحبُّه لأمِّك؟**» قال: لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَك، قال: «**ولا الناسُ يحبونَه لأمهاتِهم**» قال: «**أفتُحِبُّه لابنتِك؟**» قال: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ، جعلني اللهُ فداءَك، قال: «**ولا الناسُ يحبونَه لبناتِهم**» قال: «**أفتُحِبُّه لأختِك؟**» قال: لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَك، قال: «**ولا الناسُ يحبونَه لأخواتِهم**» قال: «**أفتُحِبُّه لعمتِك؟**» قال: لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَك، قال: «**ولا الناسُ يحبونَه لعماتِهم**» قال: «**أفتُحِبُّه لخالتِك**» قال: لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَك، قال: «**ولا الناسُ يحبونَه لخالاتِهم**» قال: فوضعَ يدَه عليه، وقال: «**اللهم اغفرْ ذَنْبَهُ وطَهِّرْ قلبَهُ، وحَصِّنْ فَرْجَهُ**»[٣].

رابعًا: قد يؤثرُ في الشخصِ اهتماماتٌ شخصيةٌ لذلك المدعوِّ، ولعل من شواهدِ ذلك: أنَّ رجلًا منْ قريشٍ اسمُه رُكَانَةُ، كانَ متميزًا بقوتِه البدنيَّةِ، فكانَ يجتمعُ عليهِ النَّفَرُ من الناسِ فيغلبُهم. روى أبو داودَ مرسلًا عن سعيدِ بن جبيرٍ قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ في البطحاءِ في مكةَ، فأتى عليه ركانةُ ومعه إبلٌ له، وفي روايةٍ: يرعى غنمًا، فقال: يا محمدُ! هل لك أنْ تصارِعَني، وكان

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٢١١).

من الأشداءِ، فقال: «ما تُسْبِقُنِي»؟ فقال: شاةٌ، فصارعه النبيُّ ﷺ فصرعه فأخذ الشاةَ، فقال ركانةُ: هل لك في العودةِ؟ ففعل ذلك مرارًا، فقال ركانةُ: يا محمد! ما وضع أحدٌ جنبي إلى الأرضِ، وما أنت بالذي تصرعني، فأسلم. فَرَدَّ عليه النبيُّ ﷺ غنمَه[1].

ولعل من صورِ ذلك ـ وهو أنَّ من الحكمةِ في الدعوةِ تَلَمُّسَ أبلغِ الأساليبِ في نفسِ المدعوِّ ـ: ما هاهنا في قصةِ نبيِّ اللهِ سليمانَ عليه السلام مع تلك الملكةِ، فإن نبيَّ اللهِ عليه السلام لما أراد أنْ يُبَيِّنَ لهذه المرأةِ أنه نبيٌّ مرسلٌ يدعوها إلى توحيدِ اللهِ ﷻ والاستسلامِ له ـ سبحانه ـ أراها من المصنوعاتِ ـ أو إنْ شئتَ قُلْ: من المُنْجَزَاتِ ـ ما يَتَبَيَّنُ لها أنَّ هذا خارجٌ عن قدرةِ البشرِ مهما أُوتوا من قدراتٍ أو مَلَكَاتٍ أو إمكاناتٍ أو مواهبَ أو أعوانٍ، فلذلك هيأَ لها ذلك الصرحَ.

قولُه: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤]، فدخلتِ الصرحَ وهي ترى الماءَ يجري أمامَها لا ترى أنه يجري تحت شيءٍ ولا تشكُّ في ذلك، ومن ثَمَّ اضْطُرَّتْ وهي الملكةُ أنْ ترفعَ طرفَ ثوبِها، والمتكبرونَ من الناسِ فضلًا عن ملوكِهم يأبونَ إلا إطالةَ ثيابِهم ويأنفونَ من تقصيرِها أو رفعِها، لاسيما وهي امرأةٌ، لكنها اضْطُرَّتْ لذلك حيث حَسِبَتْهُ لجةَ ماءٍ مكشوفٍ غيرِ مسقوفٍ فتحتاجُ لخوضِه بقدميها، فأُخبرتْ أنه مسقوفٌ بسقفٍ زجاجيٍّ بلغَ غايةً من الدقةِ في صُنْعِه وصفائِه وشَفَافِيَتِه.

قولُه: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]. فحينها عَلِمَتْ أنَّ الملوكَ مهما بلغتْ قدراتُهم فإن لهم سقفًا لا يتجاوزونَه، أما سليمانُ فقد تجاوزَ ذلك كلَّه.

---

(١) أخرجه أبو داود في المراسيل (٣٠٨).

قال البغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن بعضِ السلفِ ـ: «لما رأتِ السريرَ والصرحَ علمتْ أن مُلكَ سليمانَ من اللهِ»[١].

فلهذا وصلتِ الرسالةُ بجلاءٍ ووضوحٍ، ومن ثَمَّ قالتْ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير البغوي (٦/ ١٦٨).